

## الأدوات النحوية بين التسلط والتفسير

د/ دليلة مزوز

جامعة بسكرة

## Résumé :

Les mots-outils grammaticaux de l'autorité à l'interprétation

Les mots -outils grammaticaux de la théorie grammaticale arabe jouent des rôles diversité dans la syntaxe . se sont le lien entre les noms, et nom et verbe .

Les mots - outils qui font l'objet de la recherche sont kana et ses analogues et inna et ses analogues qui se sont distinguées et qualifiées par la priorité , la liaison ,la confirmation ,la présence ,la transposition, et l'interprétation .

Tous ces principes démontrent ses fonction concernant la syntaxe, il sont considérés comme les mots lexicaux les plus génératives des cas de laarab : elles rendent les mots accusatifs et rattrapent le manque constaté dans les mots .

En effet , elles rassemblent les signification de temps et d'action : inna et ses analogues fixe l'action sur les noms ;et la renforcent , tandis que kana fixe le temps dans les noms ;elles sont considérées parmi les divers mots-outils créés par les grammairiens dans le sujet de nawassikh.

Parmi ses significations ,le positif et le négatif .et dans sa dimension fonctionnelle , elles ressemblent à la phrase verbale composées de verbe +sujet +complément .

## المخلص :

تقوم الأدوات النحوية في النظرية

العربية بوظائف متعددة في التركيب، وهي

الرابط بين الاسم والاسم، أو بين الاسم

والفعل. والأدوات موضع البحث هي كان

وأخواتها وإن وأخواتها التي تميزت بمبدأ

الصدارة، والتسلط، والربط، والإثبات،

والحضور، والنقل، والتفسير. وهذه المبادئ

كلها تقوم ببيان الأدوار التي تؤديها

في التركيب، وهي من أكثر المقولات

المعجمية النحوية توليدا للحالات الإعرابية:

فهي ترفع وتنصب، وتستدرك النقص

الوارد في الأسماء؛ إذ تنقسم دلالات

الحدث والزمن. فإن وأخواتها تضطلع

بالحدث وتبته في الأسماء وتقويه. وكان

وأخواتها تضطلع بالزمن وتبته في الأسماء

التي تدخل عليها. وهي من الأدوات

الموضوعة من طرف النحاة في باب

النواسخ.

ومن أهم الدلالات التي تحملها

علاقة الحمل على النقيض من حيث الإثبات

والنفي، والإيجاب والسلب وإيجاب التأكيد

وإيجاب الزمان، وهي في بعدها الوظيفي

شبيهة بجملة فعلية المتكونة من فعل، فاعل،

مفعول به.

تمتلك اللغة كما هائلا من الأدوات النحوية، التي تساعدها في الحفاظ على المعنى ونقله من مكان إلى آخر، بواسطة العلاقات التي تحدثها، إنها ذات نشاط نحوي ودلالي، تقوم على تقويته وتوجيهه وتحديد دلالاته 'قدلالة كل منها تكمن في الواقع اللغوي فيما تقصده وتتوجه له وتهدف إليه في نهاية القول"<sup>1</sup>

فنظام الأدوات النحوية - لا سيما الناصبة منها- يعمل وفق قانون الأصل والفرع؛ فهي فرع من أصل وهو الفعل. يقول ابن يعيش: "اعلم أن هذه الحروف وهي إن وأخواتها وهي ستة: إن وأن ولكن وليت ولعل وكأن من العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر، فتتصب ما كان مبتدأ وترفع ما كان خبرا، وإنما عملت لشبهها بالأفعال"<sup>2</sup>. فالجملة في هذا البناء الجديد تحقق إسنادا، ويزداد الربط بين عناصرها الثلاثة، ويتعلق العنصر الجديد بالمبتدأ والخبر، وتقوى حاجة المبتدأ إلى خبره، ويصير التركيب هنا شبيها بالجملة الفعلية، وهذا ضرب من تفسير النحاة الجملة الاسمية بالجملة الفعلية: فالمبتدأ أصبح كالفاعل والخبر كالمفعول.

ثم إن صورة الجملة هنا هي من قبيل ما تقدم مفعوله عن فاعله ونمطه هو: حرف مشبه بالفعل، ومفعول منصوب وفاعل مرفوع. وسر شبه هذه الأدوات الناصبة والرافعة، بالأفعال ما ذكر الزجاج في جملة أنها 'تطلب اسمين كما يطلبهما الفعل المتعدي"<sup>3</sup> ويرى ابن يعيش أن تقديم المنصوب على المرفوع. للتفريق بينها وبين الفعل.<sup>4</sup> فهذه علامة فارقة لتمييز الأصول عن الفروع، وإلحاق الفرع بالأصل من جهة -وتنزيله من حيث العمل- منزلة البنية الأصلية من جهة أخرى.

لقد اتخذ النحاة من الرتبة قرينة دلالية للتمييز بين ما هو أصل وما هو فرع - إذ الأصل عندهم هو الفعل، ومن علاماته الرفع الذي هو من باب الإسناد، والفرع أصل والنصب فرع، وجعلوا كل ما هو مرفوع داخل في باب الإسناد أصل وأطلقوا عليه العمدة، وما كان منصوبا فهو خارج عنه وسموه فضلة.

ومن ثم فإن الجملة الاسمية في أوضاعها المختلفة، تكون أصلا وتكون فرعا أيضا، فإذا اتصلت بها النواصب من المشبهة بالفعل أو الأفعال الناقصة صارت فرعا عن أصل. ملحقة بالجملة الفعلية، وقد أدرك النحاة هذا الإلحاق وعللوا بأنه ناتج من دخول هذه الأدوات على الجملة الاسمية، لأنها اتصفت بالأفعال من أربع جهات:

1. الاختصاص، أي دخولها على الأسماء.
  2. كونها على لفظ الأفعال، إذ تتشكل على أكثر من حرفين.
  3. بناؤها على الفتح، مثل الأفعال الماضية.
  4. اتصال المضمر بها، وتعلقه بها كتعلقه بالفعل.<sup>5</sup>
- لقد تبين منهج النحاة في تصنيف التراكيب وجعل بعضها أفضل من بعض، وهذا باب من أبواب التحويل والتصنيف والتفسير والتوجيه النحوي.

### 1- مبدأ الصدارة:

يتشكل التركيب العربي من نواة وعناصر محيطية بها، فالنواة التي نعنيها هنا هي العناصر الموجهة للتراكيب والمحددة لدلالاته الزمنية والحدثية. إنها الأدوات الداخلة على الجملتين الاسمية والفعلية. والمستجمعة في الأفعال الناقصة وجوارم الفعل ونواصبه. فهذه الأدوات العاملة تضعنا أمام تصور تركيبى نمطه: عامل + معمول. ويقف المتكلم غير بعيد من هذا التركيب الذي ينشئه ليراقب حدوث المعنى وقوته، فيبعث به إلى المتلقي حاملاً القصد الموجه.

وتسقط النواة "من محور العمل اللغوي أي المتكلم - مولد الدلالات في التاريخ اللغوي- إلى مجال الألفاظ والمركبات النحوية في الكلام عند التواصل والإبلاغ، فينسب العمل الدلالي في المتكلم<sup>6</sup> إلى علاماته وكلماته"<sup>7</sup>.

يرى النحاة أن الفعل نواة دائمة، مكررة وموجودة بالقوة في كل التراكيب الكلامية فالجملة الاسمية لما خلا منها الفعل دخلت عليها الأفعال الناقصة لتضيف إليها حدثاً أو زماناً<sup>8</sup> وتضيف على هذه التراكيب سمة التداول. فحركة الحدث عملية إجبارية في التداول اللغوي. فإذا قلنا: الجو بارد، فإن التركيب أفاد إخباراً بوضعية الجو، أما إذا أضفنا عنصر الأداة: كان: يصير التركيب على هيئة مخالفة للتركيب الأول: كان الجو بارداً وهذا التغيير يحدث على المستويين السطحي والعميق، ففي المستوى السطحي نلاحظ أن الخبر ورد منصوباً، وصار بمثابة المفعول، أما على مستوى البنية العميقة، فإن المعنى تحدد بزمن معين، فالجو كان فيما مضى بارداً أما الآن فلم يعد كذلك.

والملاحظ على هذا التركيب تصدر الأداة (كان) إذ سبقت كلا من المبتدأ والخبر، وصارت عاملاً لفظياً بعدما كان للجملة عامل معنوي وهو الابتداء.

لقد منع النحاة تقديم خبرها واسمها عليها، وذلك لعدم تصرفها<sup>9</sup> غير أن ابن يعيش أجاز تقديم الخبر إذا ورد ظرفا نحو: إن في الدار زيدا. وهذا توسع منهم في الظروف لكثرة الاستعمال.<sup>10</sup> ثم إن مبدأ الصدارة كفه لها العمل، فهي شبيهة بالأفعال الحقيقية.

ولذا يمكن أن نفسر هذا المبدأ بأنه الإحاطة بالخبر ودفعه إلى الإفادة وإظهارها. فكلما كان العنصر الداخل قويا استطاع تحريك العناصر الأساسية في التركيب وقوى من وجودها. وهذا ما سنبينه في التراكيب الآتية:

- كان الرجل كريما. فالكرم تجلى في زمن مضى وامتد فيه .

وقد يحتمل أن تكون التراكيب المضمره التي تأتي بعد هذا الزمن كما يلي:

كان الرجل كريما - ولم يصبح كذلك، أي صار بخيلا.

وهناك احتمال ثان وهو: كان الرجل كريما وما زال وهو من قبيل الإثبات بالأفعال الناقصة، والتأكيد على الخبر. فحضور "كان" الدالة على زمن مضى يضع في الذهن أن الخبر (كريما) قد ثبت وانتهى. وقد تحققت إفادة الخبر علميا، ثم إنه دليل آخر على أن الجملة الاسمية زمنها مطلق<sup>11</sup>. ولا يعقل أن نؤمن بأن الجملة هنا فارغة من الزمن، لأنها تدل على وجود و الوجود محتوى في الزمن.

## 2. مبدأ التسلط:

لقد أكد على هذا المبدأ لوسيان تينيار (lucien tésnier)، فالفعل عنده هو العنصر المسيطر على بقية العناصر<sup>12</sup>. ويدرك النحاة العرب القداماء أن الأدوات النحوية المتصدرة للتراكيب تتسلط على عناصرها، وتعمل على التوجيه العقلي للغة الذي يتحكم في تفسير الواقع وبيانه. هذا التسلط يظهر أثره لفظيا ومعنويا، فأما التسلط اللفظي فيتمثل في النصب في اسم وخبر كان، نحو: إن الحج ركن من أركان الإسلام، وقوله تعالى: "وكان الإنسان لربه كفورا"<sup>13</sup>. وهذا التغيير نتيجة شبيها بالأفعال في عملها فنصبت ورفعت.<sup>14</sup>

وأما الأثر اللغوي، فهو كل ما ينطبع في النفس من توكيد وإثبات ونفي وتقييد زمن أو إطلاقه.

إن ما يقوي هذه الفكرة في نظرنا نظرة سيبويه لمثل هذه التراكيب، إذ يمكن الاستغناء عن الفعل الأول نحو: كان زيد قائما، فتحذف كان، ويبقى التركيب سليما لبقاء

الإسناد فيه، بخلاف التركيب الفعلي نحو: ضرب رجل زيدا، لا يصلح حذف الفعل فيها. وهذا ما نفهمه من عبارته: "فمن ثم ذكر على حدته ولم ينكر مع الأول"<sup>15</sup> كما يفهم من مصطلح التسلط أنه عنصر خارجي أدخل على الجملة لإضافة ما تفتقد إليه من زمن أو حدث أو غير ذلك...

ويظهر من خلال استقراء الأحكام النحوية الخاصة بالتراكيب قيد الدراسة، أن الجملة الاسمية في وضع مستقر، وأن هذه الأدوات موضعها الصدارة في أغلب الأحيان.

16

لقد ولدت الأدوات الداخلة على الجملة الاسمية بخاصة تصورا دقيقا للواقع، أو لنقل إنها أعادت بناء الواقع بشكل دقيق ودائم "قالوعي اللغوي يلتقط ضرورة الأشياء في قلب وحدتها العضوية ويقبض على مفهوماتها مبثوثة في التواصل القائم بين الموجودات، فالوعي اللغوي يدرك الموجودات في علائقها الداخلية مما يعمق ضرورتها ويؤكد وحدتها الحيوية"<sup>17</sup>. فالبناء الذي تسعى الأدوات الناصبة والرافعة إلى تشكيله يعمق الفهم، ويقوي من حركية اللغة التي تقوى بحسن توظيف عناصرها. وهو أيضا يمثل الأطراف التخاطبية في بعدها التداولي والوظيفي.

### 3. مبدأ الربط:

لقد توسع النحاة العرب في بسط مفهوم الزمن والحدث، فانبروا يبحثون عن صيغ مختلفة من الأسماء والأفعال والحروف، لتحمل دلالات الزمن والحدث وتوزعها على التركيب الذي تتضمنه. ومن هذه الأقسام الحروف المشبهة بالفعل والأفعال الناقصة التي تقاسمت الاختصاص، فاختصت الأولى بالحدث، واختصت الثانية بالزمن، إضافة إلى معان أخرى تتوسع إليها وتقوى مع السياق الذي ترد فيه.

وإذ نعرض لهذه الفكرة من أجل إثبات قوة الربط التي تحدثها هذه العناصر الوظيفية من عدة أوجه، إضافة إلى تحقيق التوازن المعنوي بين التراكيب المختلفة، والرفع من القيمة الوظيفية والتركيبية للجملة إذ "يحافظ النظام الإعرابي التركيبي على المقولتين"<sup>18</sup>، ويضمن الجواب عن استفهام المنكلم وحاجاته التعبيرية"<sup>19</sup>.

فكأن الاسمية جملة سمات نحوية تمر من مرحلة إلى مرحلة أخرى. فالنظام النحوي في حاجة متواصلة إلى ضمان المعاني بطرق صيغية وظيفية مختلفة ومتعددة، وأنواع اسمية تختزل الميثوث في كل اللغة.

ويمثل وصف النحاة لهذه التراكيب وتشبيهاها بالجمل الفعلية نوعاً من الربط العلائقي بين الجمل المختلفة في تراكيبها، والمتشابهة في دلالاتها: فاسم كان عند سيبويه اصطلاح عليه اسم الفاعل وخبرها اسم المفعول، فلا فرق في توزيع المحلات بين قولك: كان عبد الله أخاك، وقولك: ضرب زيد بكراً. فالمقولة الممثلة هنا في النمط فعل + فاعل + مفعول به أو عامل + معمول مرفوع + معمول منصوب.<sup>20</sup>

لقد مهد سيبويه لبناء نظرية الحرف من خلال عرض ما يعتور الجملة العربية من حالات، كالربط وتعدد المعاني نحو التمني في ليت، والترجي في لعل، والتأكيد في إن، والاستدراك في لكن<sup>21</sup> وهي ضروب من انفتاح الحرف على الفعلية، وحمله لسماتها وتمثله لها. إذ أن ليت تساوي عند النحاة (أتمنى) ولعل أرجو وأخاف<sup>22</sup> وغير ذلك من المعاني الفعلية المسترسلة في مثل هذه الأدوات.

أما الأفعال الناقصة فهي أوعية زمنية لأوقات مختلفة. مثلما ذكر سيبويه وابن يعيش. وإذ نعرضها متتالية نتضح لنا الأزمنة المتتالية في: كان، أمسى، وأصبح، وظل، وأضحى، وما دام، وما زال، وصار، وبات، وليس. وقد صنف ابن يعيش هذه الأزمنة وذكر ما يجمعها من رابط مشترك، يقول: فـ "كان" مقدمة لأنها أم الأفعال لكثرة دورها، وتشعب مواضعها، وأصبح وأمسى أختان لأنهما متقابلان في طرفي النهار، وظل وأضحى، أختان لاتفاقهما في المعنى، إذ كان لصدر النهار وما دام، وما زال، وما انفك وما فتئ، وما برح أخوات لانعقادها بما في أولها. وبات وصار أختان لاشتراكهما في الاعتلال، وليس منفردة لأنها وحدها من بين سائر أخواتها لا تتصرف".<sup>23</sup>

فقد اتحدت هذه الأدوات وتضافرت لأجل التوسع في الحدث والزمن، أو استدراك النقص فيهما في الجمل الاسمية التي تدخل عليها، مع ضرورة ذكر الربط الذي تعدد بتعدد قرائنه، نتبينه فيما يلي:

1. الربط عن طريق بث الدلالة الزمنية وتقييدها بعدما كانت مطلقة لا يمكن الظفر بها، وبث الحدث وتوجيهه.

2. الربط عن طريق التقديم والتأخير أو استبدال المواضع في:

كان وأخواتها ← رفع - نصب

وإن وأخواتها ← نصب - رفع

3. الربط عن طريق الإسناد، وقد جعله النحاة "العلاقة الأولى التي تختزل كل دلالة لسانية، والرابطة الدلالية الأساسية التي ينعقد بها المعنى"<sup>24</sup> وقد عرفه الصبان بأنه "ضم كلمة إلى أخرى على وجه الإنشاء أو الإخبار"<sup>25</sup>، وعرفه السيوطي بأنه "تعلق خبر بمخبر عنه، أو طلب بمطلوب منه"<sup>26</sup>. وقد عد الإسناد أقوى الروابط المعنوية في الجملة العربية، وقد جعله الجرجاني قرين الفائدة وأطلق عليه مصطلحات عدة نحو الائتلاف، والتأليف، والتركيب، والتعليق والضم.<sup>27</sup>

#### 4. مبدأ الإثبات والحضور:

هذان مبدآن قائمان بقوة التراكيب والأدوات التي دخلت عليها لتنفيذ معان مختلفة أرادها المتكلم لتوجيه كلامه نحو الغرض المقصود. فإذا تأملنا التراكيب الاسمية الآتية:

1. إن الدرس مفهوم.
2. لعل الرجل صادق.
3. ليت العمل مقبول.
4. لكن الصبي مريض.

فإننا نخلص إلى جملة من الملاحظات التي سجلها النحاة، وعلى رأسهم سيبويه، الذي يرى أن "إن" تدخل على الابتداء توكيدا<sup>28</sup> وأما لكن فنفيد إثباتا بعد نفي<sup>29</sup>، وأما لعل وليت فإنها تفيد اقتراب الحدث وعدم تحققه، وإضافة إلى ذلك فإن ليت للتمني ولعل تفيد الاشتقاق والطمع مثلما يقول سيبويه<sup>30</sup>. فإثبات المعنى في التراكيب بالأدوات التي تصدرها يختلف من أداة إلى أخرى وهو على درجات، مثلما يكون النفي على درجات أيضا. فالدرس كان مفهوما، وقوت معناه الأداة وأكدته ليخرج من الشك إلى اليقين. فالحضور الذي نعنيه هنا هو حضور المعنى واستقراره في ذهن المتلقي بعدما ثبت واستقر لدى المتكلم، فالمعاني الدائرة بين المتكلم والسامع معان يمكن أن تأخذ طريقها نحو الرسوخ الذهني لفترة ما، لكي تنقل ما في النفس من أحاسيس تختالجها وتتنوع بتنوع السياقات المحيطة بها. فهذا التأكيد لنفي شبهة، وذاك تمن لطلب تحقق شيء يأمله. وهذا ترج لبلوغ غاية، وقد يتقاطع في معناه مع التمني غير أنه أقل منه درجة وأما لكن فتثبت بعد نفي في قولنا: الصبي حاضر لكنه مريض، إذ تبي حضوره وأثبت مرضه، فرسخ في الذهن ما كان بعد لكن لأن هي المحصلة التي يبلغ إليها الكلام.

لقد تحقق الإثبات والحضور على المستويات الثلاثة، مستوى الأداة، ومستوى المبتدأ، ومستوى الخبر.

فالخبر إفادة وهو إثبات وجود الثاني مضافا إلى الأول (المبتدأ)، فالابتداء يثبت الخبر والخبر يثبت بانضمامه إلى المبتدأ، إذ كلاهما يثبت وجود الآخر، وقد وردت وظيفة الخبر في الكتاب فيما سمي برسالة سيبويه وتحديدًا الباب الأول منها<sup>31</sup> وبينت علاقته بالمتكلم والمخاطب. فدلالة الإخبار ذات وجهين: إخبارك المخاطب، وإخبارك عن المبتدأ.<sup>32</sup>

وقد وجدنا الإثبات مصطلح تداوله ابن يعيش في تفسير دلالة أخوات كان التي تتصل بها حروف النفي نحو ما زال، ما فتى، ما برح، ما انفك. "ومعناها على الإيجاب وإن كان في أولها حرف النفي"<sup>33</sup>، لأن في أصلها الأول، معناها النفي فلما دخل عليها النفي صارت دالة على الإثبات<sup>34</sup>. فإذا قلنا: ما زال زيد قائما، فهو كلام مثبت، أي هو قائم وقيامه مستمر فيما مضى من الزمان.

ثم إن المعاني المختلفة التي أفادتها (إن وأخواتها) في الجملة هي "أحداث ترجع إلى تنفيذ الكلام وتصور خصائص إنشائية توليدية يحققها المتكلم"<sup>35</sup>. ومما نخلص إليه أن المعنى التداولي للأدوات والإخبار يعكس لنا حالات المتكلم والمتلقي وظروف تواصلهما. وتنوع المعاني في الكلام الدائر بينهما بحسب القصد، فتختلف درجات الإثبات والحضور والنفي والتوكيد.

##### 5. مبدأ النقل:

لقد عملت النواسخ الناصبة لمبتدأ والخبر على حركية دائمة في المحلات الاسمية، وأضفت عليها دلالة الحدث والزمن، وظلت هاتان الفكرتان تنتقلان ذهابا وإيابا بطريقة أفقية لربط الاسمين المرفوعين سلفا وتحولهما إلى اسمين منصوبين - مع اختلاف فائدتهما - ضمتهما الأداة إليهما وسلطت عليهما أنواع المعنى وقوته فيهما، وانبرت إلى المرفوع وحركت فيه قوة الإسناد الذي يتجاوز الخبر. "فالإسناد مفهوم أعم من الخبر، لأن الإسناد يشمل الخبر وغيره من الأمر والنهي والاستفهام فكل خبر مسند، وليس كل مسند خبرا"<sup>36</sup>.

ثم إن المقصود بالزمن هو الخبر الذي تحيط به هذه الأدوات مع اختلاف في الأزمنة المنقطعة وغير المنقطعة، فكان زمانها عام لكنه منقطع على خلاف بقية الأدوات



باستثناء "ليس" التي وضعت للنفي في الحال<sup>37</sup>. وهذه الأدوات أزمناها خاصة وغير منقطعة<sup>38</sup> زمان إخبارك.

فالاتصال حاصل من جهة الزمن لربط الخبر بالأدوات، وربط التركيب كله بالسياق العام للكلام، ونقل الوقائع الخارجية ووصف الأحداث بألفاظ هي آلات المتكلم. فأنت إذا قلت: أصبح زيد عالماً، وأضحى أخوك مسروراً، فالمقصود أن علم زيد اقترن بالصباح، وسرور أخوك اقترن بالمساء.

والملاحظ أن هناك تضميناً للحدث الذي يختفي وراء الخبر ليوسع في فائدته، ويختفي أيضاً وراء الأفعال الناقصة التي استرسلت لتعكس تبادل الأدوار الدلالية بين أقسام الكلم.

### 6. مبدأ التفسير:

إن الغاية القصوى التي وضع المتكلم من أجلها هذه الأدوات (النواسخ) هي إكمال النقص الحاصل في المبتدأ والخبر، أو ما يمكن أن نسميه: البحث عن الاستقرار اللغوي، ذلك أن الكون الخارجي فيه أبعاد لا يمكن الانفصال عنها هي: الحدث، و الزمن، والمكان.

فالأسماء في حاجة إلى الاتصاف بالحدث والزمن، وهنا يتضح دور النظرية النحوية العربية التي تجمع بين الأدوات النحوية والمركبات الاسمية وتجعل بينها توافقاً مستمراً. فمبدأ النقصان الحاصل من الطرفين يفسره ابن يعيش من جهة الأدوات يقول عن كان وأخواتها فإن "نقصانهن من حيث أن نحو "ضرب" و"قتل" كلام متى أخذ مرفوعه، وهؤلاء ما لم يأخذن المنصوب مع المرفوع لم يكن كلاماً".<sup>39</sup>

ومعنى قوله لم يكن كلاماً، أنه لا تحصل الفائدة بحذف المنصوب وهو الخبر. وقد نزع النحاة في معاملة التراكيب الاسمية معاملة التراكيب الفعلية المتعدية وتحدث سيبويه عن هذا الشبه في باب أسماء: "هذا باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول" واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد".<sup>40</sup> حيث نظر إلى باب كان على أنها بمثابة الأفعال المتعدية إلى واحد. وقد نلمس تقارباً في تفسير الجملة الاسمية بالفعلية، وتوسع في وصفها وتأويل بعض الأحكام فيها، إذ أضاف سيبويه على التفسير أن اصطلاح على اسم كان اسم الفاعل - وعلى خبرها اسم المفعول. وهو لا يجد فرقاً بين "كان عبد الله أخاك" وبين ضرب زيد عمراً" إذ أن توزيع الأسماء واحد في الرتبة والمحلات الإعرابية التي حققت

الرفع والنصب في كلا التركيبين. أما ابن يعيش فقد فصل في التمايز الحاصل بين التركيبين والذي يقوم على مبدأ المغايرة المعنوية ويتجلى في:

1. إن كان من أفعال العبارة واللفظ، وليست أفعالا حقيقية، فهي تحمل دلالة

زمنية، ووظيفتها شبيهة بوظيفة الظرف في قولك: زيد قائم أمس.

2. اتصاف هذه الأدوات بأن صار لها خبر أمر تقريبي وليس على وجه

الحقيقة "لأن الحروف والأفعال لا يخبر عنها"<sup>41</sup>.

أما ابن الخشاب فإنه حدد "أن الحروف موضوعة في الأصل للاختصار

ومعانيها التي تدل عليها معاني أفعال هي نائبة عنها"<sup>42</sup>.

ويحسن أن نسوق رأي تنيار (tésnier) الذي ذهب إلى الاتجاه نفسه ولكن برؤية

لسانية تقترب من علم الكيمياء. أطلق عليه (la valence) التكافؤ. فوضعية الفعل في

ارتباطه بعناصر أخرى شبيهة بالذرة، والعناصر التي يرتبط بها الفعل يسميها المفاعلات

(les actants) وهي عنده الأشخاص أو الأشياء التي تشارك بقدر ما في الحدث ... أو

هي التوابع المباشرة للفعل، والفعل كان هنا يعده ثنائي التكافؤ.<sup>43</sup>

لم يكن النحاة العرب في تفسيراتهم للتركيب بعيدين عما جاءت به الدراسات

اللسانية، ولا سيما الوظيفية منها التي تؤكد على دور المتكلم في توجيه الخطاب المحكوم

في طرفيه المتقابلين بالمخاطب والقصد، إذ وجدنا جملة هامة من الأحكام النحوية تقوم

على هذه المبادئ وتسير في منهجها وتحقق الأطر العامة لها.

فالدرس النحوي بالمفهوم المعروف، يقوم على استنتاج النصوص النظرية في

التراث ومقابلتها بالدرس اللساني الحديث لمعرفة درجة النضج الفكري الذي بلغه علماء

النحو، وتمكنهم من أسس المنهج اللغوي، ودفع التهم الكثيرة التي وجهت له.

إننا نقوم هنا بإبراز الأثر التواصلي للأدوات النحوية وأبعادها من خلال استقراء

النصوص الموثقة في كتب النحو، وبعثها من جديد لإحياء النحو وتمكين الدارسين من

أهدافه ومراميه المختلفة.

فالرؤية التجريدية لم تكن معزولة عن الرؤية الواقعية القائمة على الاستعمال

اللغوي، بل كانت موازية لها، ومحركة لوصفها ودافعة إلى ضرورة تصنيفها وتوجيهها

فعزل النحو وجعله مجرد أداة لتقويم الأخطاء فكرة خاطئة، ويجب التخلي عنها

والانصراف إلى جعل هذه الأداة اللغوية الحية محركا أساسا للفكر واللسان والتداول.

## الهوامش

1. بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري، (من التجريد إلى التوليد) - طبيعة المعنى المضمرة - عالم الكتب الحديث الأردن، ط1، 2012، ج1، ص 91.
2. شرح المفصل قدم له ووضع هوامشه وفهارسه إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001 م، ج1، ص 254.
3. ابن هشام الانصاري، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: علي محسن عيسى مال الله، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1405 هـ - 1985 م، ص 145.
4. شرح المفصل، ج1، ص 254.
5. المصدر نفسه، ج1، ص 254.
6. لقد حدد النحاة أمثال ابن جني، والاسترابادي، والجرجاني في أن المتكلم له دور بارز في تحديد فضاء الإعراب والعامل، ينظر: الخصائص، ج1، ص 109-111 وشرح الكافية، ج1، ص 63، ودلائل الإعجاز، ص 303.
7. المنصف عاشور، في رسم حدود النواة الإعرابية والبحث عنها، مظاهر من الاختزال والتكرار في النظام النحوي، مجلة دراسات لسانية، تونس، المجلد 4، سنة 2002، ص 21.
8. وقصدنا هنا أن كان تدل على زمن وحدث، فأما الزمن فهو يبين من الصيغة، وأما الحدث، فإن الخبر ينوب عن الحدث فيها، لأنه يحمل فائدة، وقد اتجه ابن يعيش هذا المتجه، فقال: 'فتدخل على المبتدأ والخبر، لإفادة زمان الخبر، فيصير الخبر عوضاً من الحدث فيها، فإذا قلت: كان زيد قائماً، فهو بمنزلة قولك: قام زيد، في إفادة الحدث والزمن' شرح المفصل، ج4، ص 345. فالخبر هنا صار بمنزلة الفعل، إذ لا يجوز الاستغناء عنه.
9. ينظر: شرح المفصل، ج1، ص 256.
10. المصدر نفسه، الموضع نفسه.
11. هذه فرضية تبنتها الباحثة، وترى أن الزمن لا يمكن أن يتجرد منه الكلام اللغوي، إلا أن الاختلاف قائم بين الجملتين الاسمية والفعلية، حيث أن الأولى زمنها مطلق لا يمكن تحديده إلا إذا قيدها بالأدوات النحوية نحو ما أشرنا إليه. أما الجملة الفعلية فالزمن فيها نوعان: صيغي وتركيبية. وهذا ما ذهب إليه أيضاً الفاسي الفهري، ينظر: البناء الموازي، نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة. دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1990 م، ص 65.
12. سعيد حسن بحيري، نظرية التبعية في التحليل النحوي، مكتبة الأنجلومصرية، ط1، 1988 م، ص 18-19.
13. سورة النساء/111

14. ابن هشام الأنصاري، شرح جمل الزجاجي، ص 145.
15. الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988 م، ج1، ص 45.
16. ينظر الكتاب، ج1، ص ص 45، 46، 47، 48، وابن يعيش، شرح المفصل، ج4، ص 340 - 341.
17. محمد المنبجي الصاري، ونسبه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، ص 456.
18. وأقصد بهما: الزمن والحدث.
19. المنصف عاشور، ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، ص 145 - 146.
20. سيبويه، الكتاب، ج1، ص 45.
21. المصدر نفسه، ج 2، ص 148.
22. شرح مفصل، ج4، ص 336.
23. المصدر نفسه، ج4، ص 337.
24. خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، - كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001 م، ص 193.
25. حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الفكر، سوريا، ج14، ص 42.
26. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، دار البحوث العلمية الكويت، 1977، ج1، ص 11.
27. المقتصد في شرح الإيضاح العضدي، تحقيق: كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ج1، ص 93.
28. الكتاب، ج2، ص 144. وينظر أيضا ج4، ص 233. "فهي تؤكد ما يتكلم به، وليثبت الكلام"
29. المصدر نفسه، ج4، ص 232.
30. المصدر نفسه، ج4، ص 233.
31. يقول سيبويه: "هذا باب علم ما الكلم في العربية ... أما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمرا: اذهب واقتل واضرب، ومخبرا: يذهب ... وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت" الكتاب، ج1، ص 12، وينظر شرح المفصل، ج4، ص 263.
32. خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، ص 63.
33. شرح المفصل، ج4، ص 359.
34. المصدر نفسه، الموضع نفسه.

- <sup>35</sup>. المنصف عاشور والشاذلي الهبشري، قضايا في معالجة الأبنية الإعرابية والدلالية، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة، 2005 م، ص 185.
- <sup>36</sup>. شرح المفصل، ج1، ص 86.
- <sup>37</sup>. المصدر نفسه، ج4، ص 365.
- <sup>38</sup>. المصدر نفسه، ج4، ص 354.
- <sup>39</sup>. المصدر نفسه، ج4، ص 355.
- <sup>40</sup>. الكتاب، ج1، ص 45.
- <sup>41</sup>. شرح المفصل، ج4، ص 255.
- <sup>42</sup>. المرتجل، في شرح الجمل، ص 168-169.
- <sup>43</sup>. Voir, Lucien tésniere, élément de syntaxe structurale, p 105-106.